ألف حكاية وحكاية (١٩)

يشرب ماء النهر كله

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رســوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

أول شهيدين فى الإسلام

حينَ أسلمَ ياسر وزوجتُه سمية وابنُهما عمار، بدأ المشركون معهم قصةً من أبشعِ قصصِ التعذيبِ فى التاريخِ.

كانوا يكوونهم بالنارِ، ويمزِّقونَ أجسامَهم بالسيوفِ، ويقذفون عليهم الماءَ المغليَّ، ويسحبونَهم على الأرضِ. كلُّ هذا التعذيبِ أملاً فى أن يرجعوا عن إسلامِهم، ويعودوا إلى الشركِ مرةً أخرى .. لكن دون فائدةٍ.

وفى يومٍ شاهدَ عمار أمَّهُ وهى تصرخُ والمشركون يكوونَها بالنارِ، ثم سمعَ شهقتَها وهى تلفظُ أنفاسَها الأخيرةَ، وتُسلِمُ روحَها إلى ربِّها راضيةً مرضيةً، لتكونَ أولَ شهيدةٍ فى الإسلامِ.

وبعدَها بدقائقَ، شاهدَ عمار أباه يلحقُ بأمِّه فى رحمةِ اللهِ، ليكونَ هو الآخرُ أولَ شهيدٍ فى الإسلامِ.

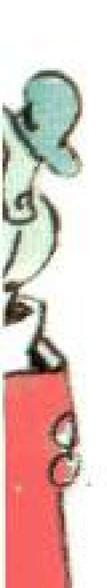
وخرجَ عمار إلى دارِه ومعه والداه الشهيدان، يتقبَّلُ العزاءَ صابرًا، وفى أذنِه يتردَّدُ صدى صوتِ رسولِ اللهِ ﷺ، يومَ قال لهم:

"صبرًا آلَ ياسر، فموعدُكم الجنةُ".



صعوبة هضم !!

دُعِيَتِ الفنانةُ الكبيرةُ "أم كلثوم" إلى الغداءِ عند أسرةٍ من أصدقائها. وهناك فوجئَتْ بضيفٍ "ثقيل الظل"، يحاولُ أن يفرضَ



فكاهاتِهِ السمجةَ على الجالسين حولَ المائدةِ.

ولاحظَ ذلك الضيفُ أن "أم كلثوم" قد اكتَفَتْ بتناولِ قدرٍ قليلٍ من الطعامِ، فقالَ لها بضحكةٍ مصطنعةٍ: "يبدو أنك غيرُ قادرةٍ على هضمِ هذا الطعامِ !"

هنا نظرَتْ إليه سيدةُ الغناءِ العربيِّ نظرةً ذاتَ مغزى، وهي تقولُ:

"بالعكس يا أخي .. إذا كان الأمرُ يتعلَّقُ بالطعامِ، فمن الممكنِ هضمُه، لكن هناك أشخاصٌ من الصعبِ جداً هضمُهم !!"



جحا واللصوص

كان جحا يمشى وحدَهُ خارجَ البلدةِ، ومعه كيسٌ به نقودٌ كثيرةٌ، فخرجَ عليه لصّانِ، وهدّداهُ بأنه إذا لم يسلّمْهما ما معه من نقودٍ، فسيقتلانه.

قال جحا: "اتركانى لحظةً حتى أبلعَ ريقى، وأزيلَ الخوفَ الذى أصابَنى منكما .. اجلسا نتفاهم."

فجلسَ اللصّانِ، وقعدَ جحا، وقالَ لهما: "إن معى نقودًا كثيرةً، لكننى لن أعطِيَها إلا لواحدٍ منكما فقط، فاتّفِقا فيما بينكما على مَنْ يأخذُها."

لكنَّ اللصّيْنِ لم يتّفِقا، واشتدَّ النزاعُ بينهما، فقالَ لهما جحا: "عندى فكرةٌ مناسبةٌ. سأعطى النقودَ للأقوى منكما."

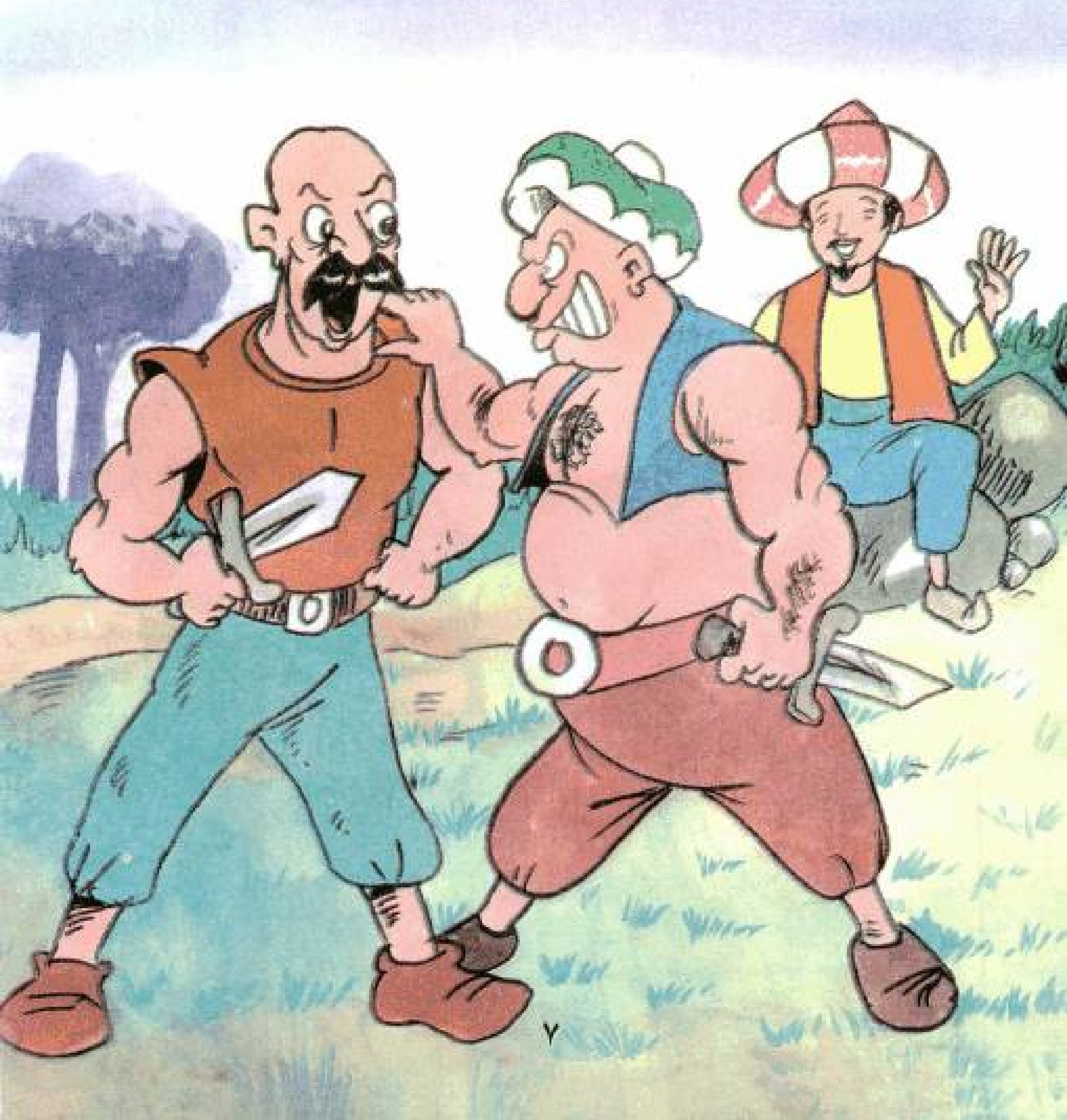
فقالَ اللصُّ الأولُ: "أنا الأقوى، وأستطيعُ أن أكسرَ رأسَ زميلى!"

فاحتدَّ اللصُّ الثانى، وقال: "بل أنا الأقوى، وأستطيعُ أن أقتلَ زميلى بضربةٍ واحدةٍ !!"

وفى حماسٍ قال جحا: "هذا كلُّه كلامٌ .. القوىُّ حقًّا مَنْ يُبرهِنُ فعلاً على صدقِ كلامِهِ."

وعندئذٍ تقاتَلَ اللصَّانِ، وكسرَ كلٌّ منهما رأسَ الآخرِ، فوقعا على الأرضِ..

فلما تأكَّدَ جحا من أنهما لا يستطيعانِ مطاردتَهُ، هربَ وتركَهما !!



الحصان والكلب

سافرَ حصانٌ وكلبٌ معًا، وأثناءَ سيرِهما، وجدا لفافةً ملقاةً على جانبِ الطَّريقِ، التقطَها الحصانُ، فوجدَها كتابًا. وبدأ الحصانُ يقرأُ، فاتَّضحَ أنَّ الموضوعاتِ كُلَّها عن الفولِ والشَّعيرِ والدَّريسِ، وعن كلِّ أنواعِ الطعامِ الذى تحبُّهُ الخيولُ.



وأحسَّ الكلبُ بالضِّيقِ الشَّديدِ وهو يُصْغِي إلى كلِّ ذلك، فصاحَ: "اقلبْ بعضَ الصَّفحاتِ يا صديقي، فقد تجد شيئًا عن اللَّحمِ والعظامِ."

وتصفَّحَ الحصانُ الأوراقَ، فلم يجدْ شيئًا مِما سألَ عنه الكلبُ، وأخبرَهُ بهذا، فقالَ الكلبُ بضيقٍ: "إذن ألقِ هذه الأوراقَ بعيدًا، فليْسَ لمثل هذا الشَّيْءِ أيَّةُ فائدةٍ !"



اللهم لك الحمد

تحكى كتبُ العربِ، أن الحجاجَ أمرَ بقتلِ رجلٍ اشتركَ فى ثورةٍ ضدَّهُ. وكان الليلُ قد أقبلَ، فتركَهُ إلى الصباحِ فى حراسةِ أحدِ رجالِهِ، واسمهُ "قتيبة". قال قتيبةُ:

خرجْتُ والرجلُ معى، وأثناءَ الطريقِ قالَ لى: "هناك ديونٌ كثيرةٌ يجبُ أن أقومَ بتسديدِها، فهل تتركُنى لأودِّعَ أهلى، وأعطِىَ كلَّ ذى حقٍّ حقَّهُ، واللهُ يشهدُ أننى أرجعُ إليك فى الصباحِ؟"

وأثارَ طلبُهُ دهشتى، لكنه ظلَّ يُلِحُّ، إلى أن سمحْتُ له بالذهابِ.

وعندما وصلْتُ إلى منزلى، وحكَيْتُ لأهلى ما حدثَ، حاصرونى باللومِ، وأصابَنا همٌّ شديدٌ، وقلنا: لن يرجعَ الرجلُ. وقضَيْنا الليلَ كلَّهُ لا يغمضُ لنا جفنٌ.

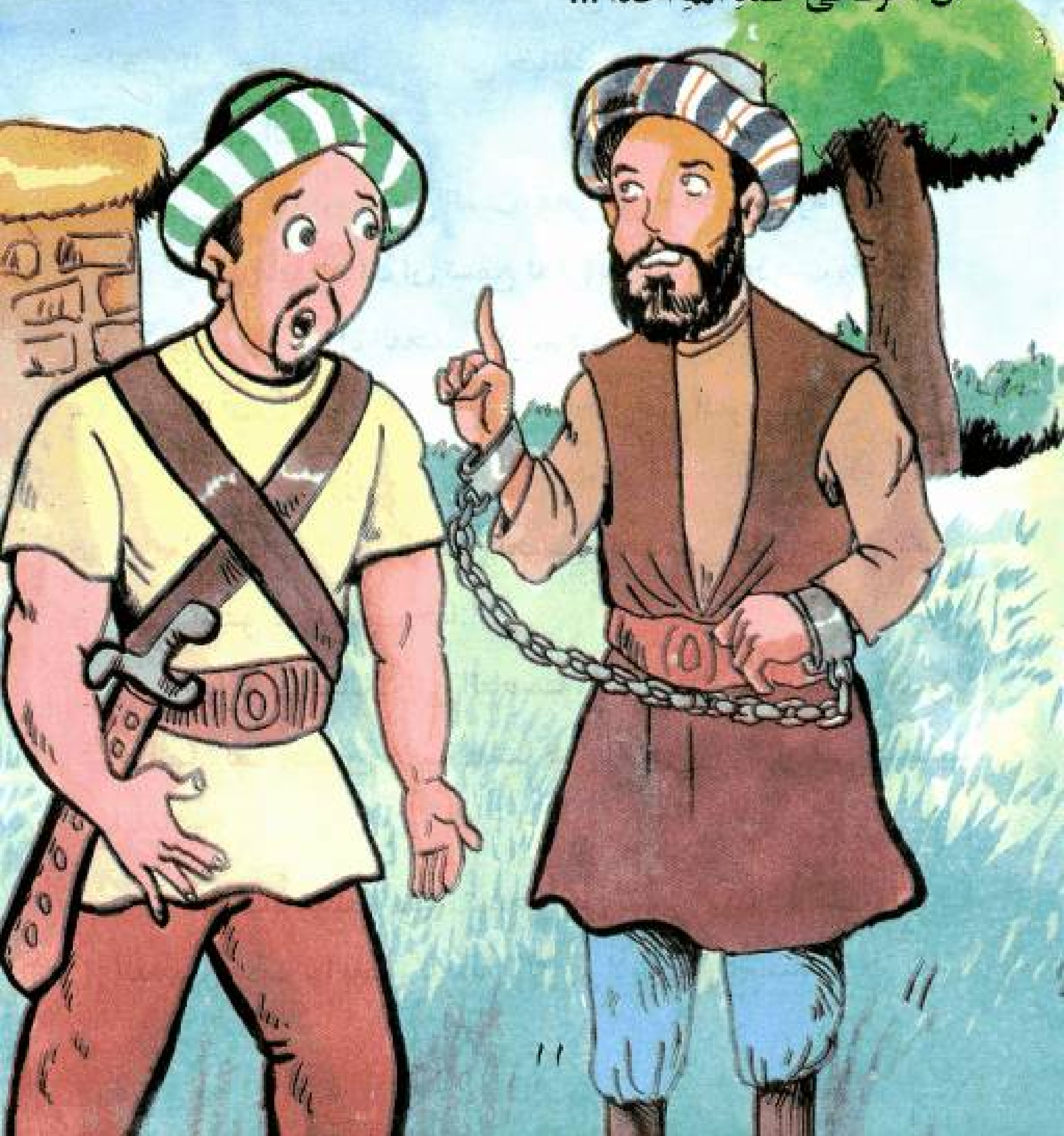
ولما أصبحَ الصباحُ، سمِعْنا قرعَ البابِ، فخرجْتُ، ووجدْتُهُ قد رجعَ. قلتُ وأنا غيرُ مصدِّقٍ: "هل رجعْتَ ؟!"

قال: "جعلْتُ اللهَ شاهدًا على عودتى ولا أرجعُ ؟!."

فأخذْتُه، وذهبْتُ إلى الحجاجِ، وقصصْتُ عليه القصةَ. فنظرَ إليه وأطالَ النظرَ، ثم قال لى: "خذْهُ افعلْ به ما تشاءُ."

فلما خرجْتُ به، قلْتُ له: "اذهبْ، فأنت حرٌّ."

فرفعَ بصرَهُ إلى السماءِ وقال: "اللهم لك الحمد."
وانصرف بغيرِ أن يقول لى كلمةَ شكرٍ، فظننْتُه مجنونًا.
لكننى فوجئْتُ به يعودُ فى اليومِ التالى، ويقولُ: "جزاكَ اللهُ
عنّى أفضلَ الجزاءِ، لقد أردْتُ أن أشكرَكَ بالأمسِ، لكننى لم أرغبْ
أن أشركَ فى حمدِ اللهِ أحدًا !!."



لولا فتاتي الصغيرة ..

مرَّ أحدُ ملوكِ السويدِ بقريةٍ وهو متنكِّرٌ، فرأى فتـاةً تملأ إناءً من بئرٍ، فطلبَ منها أن تسقِيَهُ، فأجابَتْه إلى طلبِه في أدبٍ شديدٍ. هنا سألَها:

"ألا ترغبينَ في الذهابِ معي إلى العاصمـةِ ستوكهلم، حيـث أهيِّئُ لك حياةً أفضلَ كثيرًا من حياتِكِ هنا ؟!"

أجابَتِ الفتاةُ:

"إن لي أمًّا مريضةً في البيتِ، وهي في حاجةٍ إلى رعايتي."

فطلبَ منها الملكُ أن تسمحَ له برؤيةِ والدتِها، وذهبَ معَها.

ولما رأى المرأةَ العجوزَ، تأثَّرَ لمرضِها، وقال لها:

"أنا آسفٌ لأني أراكِ على هذه الحالِ من المرضِ."

فأجابَتْهُ العجوزُ:

"لولا فتاتي الصغيرةُ التـي تحبُّني وتخدمُني بكلِّ حنانٍ، لكان حالي يدعو إلى الأسفِ حقًّا."

ولما عـادَ الملـكُ إلى العاصمـةِ، خصَّصَ للمـرأةِ معاشًـا طـولَ حياتِها، كما خصَّصَ للابنةِ معاشًا هي الأخرى، وقال في خطـابِ المعاشِ:

"إنها فتاةٌ مخلصةٌ وفيَّةٌ، تستحقُّ كلَّ تقديرٍ، لأنها أكرمَتْ والدتَها العجوزَ، وردَّتْ لها بعضَ ما تبذلُه كلُّ أمٍّ لأبنائِها وهم صغارٌ."



يشرب ماء النهر كله !

يُحكَى عن لقمان، أنه كان عبدًا وافرَ الحكمةِ. وكان سيِّدُهُ مصابًا بداءِ حبِّ المقامرةِ، فقامرَ ذاتَ يومٍ على أن يشربَ ماءَ النهرِ بأكملِه. وخسرَ سيدُ لقمان الرهانَ، فقال له خصمُهُ، وكان قاسيًا لا يرحمُ: "اشربْ ما فى النهر، وإلا فقدِّمْ فديةً بدلَ أن تشربَهُ."

قال سيدُ لقمانَ: "وما هى الفديةُ التى تطلبُها؟"

قال الخصمُ القاسى: "أقتلعُ عينَيْكَ !"

فطلبَ سيدُ لقمانَ أن يمهلَهُ خصمُه يومًا، ليفكِّرَ فى الأمرِ.

دخلَ لقمانُ على سيدِهِ، فوجدَهُ حزينًا مكتئبًا، فسألَهُ عما حدثَ. وبصوتٍ يمتلئُ بالهمِّ والغمِّ، قصَّ سيدُه القصةَ، فقال له لقمان: "لا تغتمَّ يا سيدى، فلكلِّ مشكلةٍ حلٌّ."

سأله سيدُه فى يأسٍ: "هل يمكنُ أن يوجَدَ للمأزقِ الذى وضعْتُ فيه نفسى أىُّ حلٍّ؟"

عندئذٍ أوصى لقمانُ سيدَهُ بما يفعلُ. وفى اليومِ التالى، جاءَ الخصمُ القاسى، وقالَ لسيدِ لقمان: "هيا .. اشربْ ما فى النهرِ."

قالَ سيد لقمان: "لقد راهنْتَنِى على أن أشربَ ما يوجَدُ بين ضفتى النهر من ماءٍ، أليس كذلك؟"

قالَ الخصمُ: "هذا هو ما راهنْتُكَ عليه."

قالَ سيدُ لقمان: "إذن شرطى أن تحبسَ وتحجزَ عنى ما يصلُ مع التيارِ من ماءٍ جديدٍ للنهرِ، لأشربَ ما بين الضفتَيْنِ !!"

وفوجئَ الخصمُ القاسى بهذا الشرطِ الذكىِّ، الذى وجدَهُ الشهودُ شرطًا لا غُبارَ عليه، فانصرفَ مهزومًا !!



مرض خطير

اعتادَ رجلٌ عجوزٌ ألا يسيرَ إلا وهو يحملُ في جيوبِهِ مجموعةً كبيرةً من الأدويةِ والحبوبِ الطبيةِ، يختارُها لنفسِهِ كلما تصوَّرَ أنه أصيبَ بمرضٍ ما.

وذاتَ يومٍ، قالَ: "أنا واثقٌ أنني مصابٌ بمرضٍ في القلبِ."

وبسرعةٍ ذهبَ لاستشارةِ أحدِ كبارِ الأطباءِ المتخصصينَ في أمراضِ القلبِ.

وقامَ الطبيبُ بالكشفِ الدقيقِ على الرجلِ العجوزِ، وأجرى عليه اختباراتٍ كثيرةً بعنايةٍ شديدةٍ. وأخيرًا قالَ الطبيبُ الكبيرُ للرجلِ العجوزِ: "أعتقدُ ياسيدي أنك مُصابٌ بمرضٍ شديدٍ جداً."

قالَ الرجلُ العجوزُ: "هذا صحيحٌ .. أنا أعرفُ ذلك .. ولكن قل لي ما هو هذا المرضُ؟"

أجاب الطبيبُ الكبيرُ: "مرضُك هو الوهمُ !!"

